# حجاجية الفعل الكلامي في "قرابين لميلاد الفجر" لعزالدين ميهوبي

**فوزية زيار [1] أ.د عبد الحليم بن عيسى[2]**

**1-** كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، fziar84@gmail.com

**2-** كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، Abdelhalim2001@yahoo.fr

**تاريخ الإيداع:** 2015/12/08 **تاريخ المراجعة:** 2016/05/23 **تاريخ القبول:** 2016/05/31

**ملخص**

*وقع اختيارنا على نصوص ديوان قرابين لميلاد الفجر التي تعالج في أغلبها القضية الفلسطينية، وما يتصل بها، كونها تعبر بصدق عن تعلق الشاعر بقضايا وطنه ونصرته لأخيه العربي، وذوبانه في الهم العربي المشترك، إن الكتابة عن القدس والانتفاضة والمقاومة أمور لا تحتاج إلى إيعاز لكنها تحشد الأصوات وتنمي الإحساس بالقضية، إن شاعرنا يهدف إلى تعزيز قناعات القارئ وتعبئته ليكون سندا معنويا لأخيه، فيحشد لذلك حججا (أفعالا شعرية) تتوسل الإقناع نتيجة تلاحم معطيات ثلاثة: القصدية، والإنجازية، ونية التأثير في المتلقي.*

***الكلمات المفاتيح: خطاب شعري، أفعال كلامية، حجاج، فعل إنجازي، قصد.***

## *L'argumentativité des actes de paroles dans "Offrandes pour une nouvelle aube" d'Azzedine Mihoubi*

***Résumé***

*Nous avons choisi pour corpus "Offrandes pour une nouvelle aube", un recueil de poèmes traitant la question palestinienne. Notre choix se justifie par son contenu qui traduit l'attachement du poète à sa nation et son soutien à ses frères arabes, en écrivant sur Jérusalem et la résistance. Notre poète vise à renforcer les convictions de son lecteur et l'inciter à soutenir ses frères. Ainsi, il mobilise ses arguments (actes poétiques) en se servant de la persuasion pour aboutir à une conséquence réunissant trois données: l'intentionnalité, la performativité et l'intention perlocutionnaire.*

***Mots-clés: Discours poétique, actes de paroles, argumentation, acte performatif, intentionnalité.***

## *Speech acts argumentativity in Offerings for a new down of Azzedine Mihoubi*

***Abstract***

*The corpus of our study is offerings for a new down, a poetic collection dealing with the Palestinian question. This choice is justified by the contents of those poems, they express frankly the poet adherence the questions of his nation. Writing about Jerusalem, resistance and intifada comes spontaneously to rally voices. Our poet aims to implant convictions to his lectors and to adhere them to the support for their brothers. Thus, he uses some arguments (poetic acts) in order to convince and to reach his final aims, so he recruits three sorts of data: intentionality, performativity and perlocutionality.*

***Key words: Poetic discourse, speech acts, argumentation, performative acts, intentionality***.

**المؤلف المرسل**: فوزية زيار، fziar84@gmail.com

**مقدمــة**

يبحث الحجاج في الوسائل التي تحقق نجاح الخطاب وفعاليته، أي قدرة المتكلم( الشاعر) على الفعل والإنجاز ومن ثم التأثير في المتلقي ودفعه إلى القيام بفعل ما، وهذه القدرة على الفعل لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كانت في اللغة قوة خطابية خلاقة تمنح القول طاقات إقناعية لا ترد ولا تقاوم.

فقيمة النص الشعري تتحدد بمدى قدرة الشاعر على إنجاح تواصله، تبعا لمقصديته وقدرته على دفع المتلقي تجاه الفعل والإنجاز.

وهنا يكون التساؤل عن دور الأفعال الكلامية (الشعرية) في دعم القصد الحجاجي في النص الشعري، أي هل يمكن لجميع أصناف الأفعال الكلامية من توجيهيات، وسلوكيات ووعديات... وأفعال مباشرة وغير مباشرة أن تدعم قوة القول الشعري الحجاجية، وأن تثبت قدرته الإقناعية فتعد إذ ذاك من وسائل التأثير والاستمالة؟

ربما نستطيع أن نقف على بعض الأدوار الحجاجية للأفعال الشعرية في المدونة( قرابين لميلاد الفجر) انطلاقا من نظرية الحجاج في اللغة، ولكن ينبغي أولا التقديم بشيء من الإيجاز لنظرية الأفعال الكلامية وصلتها بالحجاج.

إن اللغة ليست فقط وصفا للعالم ونسخا للواقع، وإنما هي أحد أنماط تحويل اللغة من إصدارات صوتية إلى أفعال تضطلع بوظائف اجتماعية[1] ما يعني أن الإنسان المتكلم وهو يستعمل اللغة لا ينتج كلمات دالة على معنى، بل يقوم بفعل ويمارس تأثيرا. وهذا المفهوم رسخه أوستين ليؤسس نظرية مهمة في كل مقاربة تداولية هي نظرية أفعال الكلام.

**1- الأفعال الكلامية عند أوستين:J. L. Austin**

ظهرت هذه النظرية، حين قدم أوستين كتابا حول نظرية الأفعال الكلامية[2]، حاول فيه ربط اللغة بالاستعمال أو الإنجاز، أدى هذا الأمر إلى وضع تصور جديد للغة يقوم على تقسيم الجمل إلى وصفية وإنشائية (إنجازية).

فالجمل الوصفية أو التقريرية: constative لا تميل إلا إلى وصف الحدث من غير ادعاء بتغيير الأشياء، في حين تكون أدائية أو إنجازية performative حين تقوم بتحويل الواقع[3].

فالعبارات الوصفية constative هي جمل خبرية تصف شيئا ما ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وأما الجمل الإنشائية performative فهي التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

وقد ارتضى أوستين مصطلح الإنشاء لأنه يدل على الإنجاز يقول في ذلك: " ولقد اشتق لفظ الإنشاء من الفعل أنشأ perform وهو فعل يستخدم في اللغة الإنجليزية عادة مع اسم الحدث action ويدل على أن إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث"[4]. أي التلفظ بجملة ما في ظروف مناسبة ليس وصفا للقيام بالفعل، ولا هو إخبار بأننا نقوم به، إنه عين القيام بالفعل.

ثم ميز في ضوء نظرية الأفعال الكلامية بين ثلاثة أنواع من الأفعال المرتبطة بالحجاج تقابل الأولى منها أفعال التلفظ المرتبطة بمخارج الحروف الفيزيائية، والثانية أفعال متعلقة بمقاصد العبارة أو إنجازها، وتتعلق الثالثة منها بالموقف الخطابي أو السياق وتؤدي دورا حجاجيا باقترانها بالإثبات والإنجاز.

ما يدل على أن الكلام يتضمن فعلا حجاجيا، يجسده التلازم والاقتضاء بين أفعال الكلام.

**مستويات الفعل اللغوي أو الكلامي:[5]**

- فالفعل الأول هو الفعل الكلام (الفعل اللغوي) Actelocutoire.

أي إطلاق ألفاظ تقع كأفعال بمجرد القول وينسحب على تركيبة ثلاثية العناصر هي[6]:

الفعل التصويتي l'actephonétique

الفعل التأليفي l'actephatique

الفعل الإحالي l'acteRhétique

-أما الفعل الثاني فهو قوة الكلام أو الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي) Acteillocutoire.

ويكتسب قوته من الإثبات التي تحتويها والتي تعتبر حجة، ويعني إنجاز فعل ما، تؤديه الصيغة التعبيرية الناتجة عن تحقيق الفعل الكلامي، أي الفعل التواصلي الذي تؤديه هذه الصيغة في سياق معين، وتكون وظيفته الأولى والمباشرة، تغيير مقام المتكلمين، قد يكون استفهاما أو إخبارا أو وعدا.

يسميها أوستين القوى الإنجازية أو الأفعال المتضمنة في القول.

ولكل فعل كلامي إنجازي قوة Force ومحتوى قضوي Contenu – Propositionnel ويقدم أوستين ثلاثة معايير لتحديده:

**1-** إنه فعل ينجز في الكلام ذاته وليس نتيجة تنتظر منه.

**2-** يفسر بصيغة إنشائية تفصح عنه، مثل: أعدُ، أطلبُ، آمرُ.

**3-** ذو طبيعة تواضعية اصطلاحية.

– وأما الفعل الثالث فهو لازم فعل الكلام أو الفعل التأثيري Acteperlocutoire فيعرف من خلال مفهوم الأثر، أو التأثير، لأن قول شيء ما غالبا يسبب بعض التأثير على المشاعر والأفكار وتصرفات المستمعين، أو على تصرف المتكلم نفسه، أو على شخص آخر أيضا، وكأمثلة عن ذلك هناك: أقنع، باغت، أغضب، أقلق، أراح، عزّى، أغوى أو خدع[7]. وبذلك يعد ثمرة أو نتيجة منطقية مترتبة عن الفعلين السابقين، بل يجسد الغرض التداولي من الكلام المتمثل في التأثير، ما يجعلنا نستنتج أن الكلام مبني على الحجاج ويتجسد ذلك في الآثار المترتبة عن الفعل، كتعديل أفكار المخاطَب أو عاداته أو سلوكه.

أقر أوستين بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها توافق على الأقل إنجاز عمل قولي وعملا متضمنا في القول، وتوافق كذلك القيام بعمل تأثير بالقول (حجاج)، وأفرد محاضراته الأخيرة لتصنيف مختلف أنواع الأعمال الإنجازية بناء على قوتها الإنجازية[8].

**2- الأفعال الكلامية عند سورل J. R.searle:**

برز اهتمام سورل بالأفعال الكلامية من خلال حديثه عن القصد Intention والمواضعة convention[9] التي تعتبر شرطا أساسيا في كل عملية كلامية ذلك أن الأفعال الأدائية تحمل جوهرها إثباتا أو حجة تدل على قصد المتكلم مما يجعل الحجاج مرهونا بالقصدية.

ثم صنف الأفعال الكلامية إلى أنواع بحسب وظائفها إلى أفعال إنجازية مميزا بينها وبين ما يترتب عنها والتي أطلق عليها الأفعال التأثيرية Acteperlocutoire **كالحث** والإقناع والتوقع.

وما يميز بينها هو القصد، ذلك أنه لتحقيق فعل الوعد مثلا لابد للقائل أن ينوي تبليغ مخاطبه بقصده، في حين لا يشترط ذلك في الأفعال التأثيرية لأنها نتيجة مترتبة عن الفعل اللغوي.

وبناء على ذلك يرتبط الفعل الكلامي (الأدائي) بالحجاج من خلال الإنجاز.

ثم ميز بين المحتوى القضوي (الفعل القضوي) actepropositional[10] أي ما يتصل بمضمون الفعل، والقوة المتضمنة في القول أو ما يسميه العمل المتضمن في القول في حد ذاته، وما ينتج عنه من تأثير وأعاد صياغة الفعل الكلامي كالآتي[11]:

**أ-** أن تتكلم، يعني أنك تحقق الفعل التلفظي acted'énonciation

**ب-** أن تسند الكلمات إلى بعضها وتحيل بها على مراجعها، يعني أنك تحقق الفعل القضوي actepropositionnel.

**جـ-** أن تخبر أو تعد أو تستفهم، معناه أنك تحقق الفعل الإنجازي acteillocutoire.

**د-** أن تحدث التأثير بالقول على الآخرين فتدفعهم إلى تعديل مواقفهم وعاداتهم، معناه أن تنجز الفعل التأثيري acteperlocutoire.

هذا فضلا عن قواعد غرايس Grice المحادثاتية خصوصا ما تعلق بالعملية التخاطبية، لما يحاول أحد الطرفين التأثير في الآخر بالمحاججة فيقنعه ليتواصل معه، ما مكنه من وضع شروط تضمن نجاح العمل المتضمن في القول.

ويشير جاك موشلار، وآن روبول في كتابهما إلى تمييز سورل لمجموعة من القواعد التحضيرية المتصلة بالسياق وهذه القواعد هي[12]:

**1- قاعدة المحتوى القضوي:**

يقتضي إنجاز فعل القول، إنجاز فعل ما في المستقبل كالوعد مثلا.

**2- القواعد الأولية:**

تتعلق بالاعتقادات، إذ يسعى المتكلم لأن ينجز المخاطب ما أمر به.

**3- قاعدة النزاهة:**

ترتبط بالحالة الذهنية للقائل، لذا تعد قاعدة أساسية في كل تحاور يهدف فيه المرسل إلى التأثير على المتلقي، لذا يفترض أن يكون نزيها.

**4- القاعدة الجوهرية:**

وتحدد نوع الفعل الذي يقدمه أحد المتحاورين.

**5- قواعد المقصد والمواضعة:**

تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينجز بها هذه المقاصد بواسطة المواضعات اللغوية ما مكنه من إعادة تصنيف الأفعال الكلامية وفق الأفعال المتضمنة،والتي أوردها كالآتي[13]:

**أ- التقريريات (الإثباتات) Assertifs:**

حين تبليغ خبر ما، أو واقعة، وتقبل الصدق أو الكذب.

**ب- التوجيهات (الأدائية) Directives:**

يحاول فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ولا تقبل الصدق أو الكذب كالاستفهام، والأمر، والرجاء... مثل الطلبيات.

**جـ- الإلزاميات (أفعال التعهد) Promissifs:**

التزام وتعهد المتكلم بفعل شيء في المستقبل مثل: النذور، والعهود، والمواعيد، والرهان ولا تقبل الصدق أو الكذب، وشرط صدقها هو القصد.

**د- التعبيريات Expressifs:**

التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الاخلاص، كالاعتذارات، والتشكرات، والتهاني...

**هـ- الإعلانيات Déclaratifs:**

تكون بمجرد التلفظ بها، وتخضع للمقام ومقتضياته، وهي ذات صلة بالحجاج بالنظر إلى الأثر والتغيير الذي تحدثه.

نستنتج مما سبق أن سورل ربط الفعل الكلامي بمفهوم القصدية، لذا لقيت آراؤه رواجا وقبولا لدى الكثير من الدارسين وفي مقدمتهم ديكرو Ducrot، الذي درس كتاب سورل واستلهم منه أهم مقومات الدرس الحجاجي اللغوي.

يسعى المتكلم في خطابه إلى تحقيق مقاصده فيسلك في سبيل ذلك طرقا بغرض إفهام المتلقي والتأثير فيه، وبالجملة توجيهه نحو فعل ما أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي، وقد اعتبر ديكرو Ducrot أن كل نشاط يقوم به شخص معين يمكن اعتباره فعلا Acte أو عملا يهدف إلى إحداث "تغييرات متعلقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلم، فنفس العمليات يمكن وصفها بأنها نشاط أو فعل وعمل، بحسب ما إذا كنا نراها في ذاتها أو باعتبارها تغييرا لعلاقة من يؤديها مع العالم"[(14)].

ما يعني أن الفعل اللغوي، يتسم بخاصيتين هما:

كونه نشاطا يرمي إلى تحويل الواقع، وفعلا قانونيا يقوم بتحويل العلاقات بين الأشخاص المعنيين.

**الدراسة التطبيقية:**

**3- الأفعال الكلامية في عالم الخطاب:**

تعتبر الأفعال الكلامية مؤسسة للخطاب، بل يمكن اعتبار الخطاب فعلا كلاميا كليا، كالأمر، والنهي، والاستفهام، تؤدي وظيفة جوهرية إنها فعل التأثير في المخاطَب ودفعه إلى اتخاذ قرار ما، وتغيير معتقداته وجعله يتبنى موقفا فعالا، وهو ما يحاول الشاعر الوصول إليه، فعل التأثير على المخاطَب، وطلب الاستجابة لندائه، والمشاركة في القضايا المطروحة وتحمل المسؤولية.

والحجاج بالأفعال الكلامية، إنما يكمن في تلك المستلزمات الخطابية التي تؤول وتحدد من السياق، تترك للمخاطب فرصة التفكير، ما يعني أنه ليس خطابا مفروضا على العقل والوجدان[(15)]، ثم إن الآليات الاستدلالية التي ينطوي عليها الخطاب هي في جوهرها تقنيات حجاجية.

والمدونة التي بين أيدينا (قرابين لميلاد الفجر) حافلة بالأفعال الكلامية، بوصفها على حد تعبير الباحث مسعود صحراوي"نظاما شكليا دلاليا إنجازيا تأثيريا"[(16)] كالطلب والأمر والوعد، والنهي، "لتحقيق أغراض إنجازية، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي"[(17)].

**- الأفعال التقريرية Assertifs:**

اكتفى فيها المخاطِب (الشاعر)، ببيان وعرض مجموعة حقائق، ونقل خبرات خارجية دون إبداء مواقف صريحة، وإن كانت تتشكل وتتضح أكثر في آخر القصيدة كقوله[(18)]:

طفل ينام.. يد تاهت وصومعة

توهجت في الدم المشنوق أصوات

عصفورة زغردت للحزن واحترقت

وشارع غاب تطويه المسافات
توزعت حزنها الأقمار وانكسرت
مباهج الروح واسودت ملاءات
تضيئ من نزفها مليون جمجمة
وتلك مقبرة قامت.. وأموات
يقول هذا الذي صمت وسادته
أيوب سبعا.. وصبر المرء منساة

يعلن الشاعر عن الوضع المأساوي الذي آلت إليه فلسطين، رائحة الموت في كل مكان وملايين الجثث والأموات ما حول المدينة إلى مقبرة، كل شيء يوحي بالدمار، اختفت البهجة ليحل محلها الحزن المغلف برائحة الموت، وهو بذلك قد أنجز جملة من الأفعال الكلامية التقريرية التي تعرض الحقائق وقد جاءت جلها على صورة الماضي، توحي بالتحول والانتقال من السيء إلى الأسوء، فقد اختفت كل مظاهر الحياة على أيدي وحوش تحيى على جثث الموتى، ولا شك أن هذه الأفعال أدت إلى إحداث فعل تأثيري، مفاده على الرغم من المآسي والحزن إلا أنه كان حافزا ليستجمع الشعب قوته ويعلن ثورته على الغاصب، بالرغم من محاولات هذا الأخير إطفاء نار المقاومة وزرع التفرقة بين الصفوف ورمي المقاومين بأبشع الصفات والنعوت كل ذلك لم يثن المقاومة، وكان حافزا لإعلان الثورة، إذ يقول الشاعر[19]:

من طينة الرفض صاغ الكون ثورتنا
ومن تفجرنا الثوري.. نقتات
شهيدنا جمرنا في خلدها انتبذت
مواكب العرش تتلوها المروءات
أغليت حبك أعواما فأرقني..
وهيجت حبي للجنون لذات..
منحتك القلب يا أرضي.. وقافيتي
العمر ملك أما شئت والذات.

حاول الشاعر من خلال توظيفه للأفعال التقريرية بيان حجم وهول الدمار الذي أحدثه المستعمر، وتصوير بشاعة ما اقترفه في حق شعب أعزل دافع حتى الشهادة عن عرضه وكرامته ليسترد حريته المغتصبة. فهذه الأرض تستحق أن يضحى من أجلها، إذ نراه وظف أفعالا كلامية توحي بالمقاومة والرفض والاندفاع وإن غلبت عليها صفة المجاز( الأفعال غير المباشرة)، يفهمها المتلقي من السياق بعد اجرائه لاستدلالات انطلاقا من المعنى الضمني إل المعنى الصريح بالاستعانة بمبادئ غرايس التخاطبية (من طينة الرفض صاغ الكون ثورتنا، هيجت حبي، أغليت حبك، من تفجرنا الثوري نقتات...)

**- الأفعال الإنجازية:**

وهي التي "يقترن فيها المضمون بالأداء، أو ما نقوم به على سبيل التحقيق أثناء تأديتنا لعملية التمفصل اللغوي"[20] وظهرت في الخطاب في شكل، أفعال غير مباشرة منها:

**- الاستفهام:**

يعني في الأصل نوعا من الطلب يتعلق بحالة معينة للمخاطِب لجهله بأمر فيريد تحصيل العلم به، ويعد من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا، إذ إن "طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف"[21].

فالسؤال يولد نقاشا ومن ثم حجاجا، فهو وسيلة لإثارة المتلقين ولفت انتباههم إلى موضوع ما، ثم دفعهم إلى القيام بعمل ما إذ يوجه المتكلم خطابه ليجعل المتلقي يصل لما يريده، ويكتسي الاستفهام طابعا حجاجيا حينما يكون بلاغيا، فهو في هذه الحالة أشد إقناعا للمتلقي، وأقوى حجة عليه، ذلك أنه حينما يخرج عن مقتضي الظاهر يصبح أكثر بلاغة وتأثيرا، وينطوي في بنيته على قوة حجاجية بالغة التأثير ومثل هذه الأفعال وردت بكثرة في الخطاب منها قول الشاعر[22]:

وخلف الباب سفاح
ومستوطنة تبنى
فحلمك يا بني باطل
وتعلم أني المقتول
في أرضي
من القاتل؟
أليس العالم المخمور يا ولدي، هو القاتل؟

يحتوي الاستفهام على قوة حجاجية تجعل المتلقي يقر بصحة كلام المخاطب ويشاركه قناعاته، في هذا الحوار بين الشهيد الفتى محمد الدرة ووالده، يتساءل الفتى عن مخرج لينجو من جنود الاحتلال فيرد عليه والده بأن كل الأبواب موصدة وأن الفلسطيني سجين في أرضه، ومصيره الموت، ثم يتساءل عن هوية القاتل، ليجيب في الوقت آنه أنه العالم الذي يقف ساكنا دون أن يتدخل وهو يشاهد شعبا أعزل يتعرض لشتى ألوان القهر والتقتيل، بل الإبادة. استعمل الشاعر الاستفهام الإنكاري بـ (من)، (أليس)، ليجيب المتلقي بأنه لا يمكن انتظار شيء.

نجد الاستفهام في شكل حجاج يدعو فيه كل إنسان حر إلى التدخل ونصرة الشعب الفلسطيني المضطهد، ضمنها حججا بطريقة غير مباشرة، وهي دعوة إلى نصرة المظلوم وكف جرائم الظالم، في حين تعبر من جهة أخرى عن موقف الشاعر وتضامنه مع أشقائه الفلسطينيين.

يميل الشاعر إلى توظيف هذا النوع من الاستفهام قصد دفع المتلقي إلى الإجابة التي لم يصرح بها، ومن ثم يسهل اقتناعه بالقضية المعروضة.

فالفعل الحجاجي بهذا المعنى، ليس سوى نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل الكلامي في بعده الغرضي التأثيري، الأمر الذي يجسد السلطة المعنوية للفعل الكلامي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي.

**- النفي:**

يعد أسلوب النفي وسيلة من وسائل الإقناع، طالما أنه لكل كلام قوة تأثيرية تكسبه قوة حجاجية. فالنفي "يدل على تعدد الأصوات، إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات، وصوت المتكلم المتبني للنفي، فالنفي يشير إلى إثبات ضمني ويرد عليه"[23].

وفعلا نرى ذلك ماثلا في الحوار الذي أقامه الشاعر بين محمد الدرة ووالده لحظات قبل استشهاده يقول الشاعر [24]:

...

فليكن خذني إذن نحو الشوارع كي أرى الأطفال.. خذني يا أبي..

قلت لي بالأمس.. أطفال الحجارة لن يموتوا

ولن يقوى على دمهم سكوت

دعني أفكر فالشوارع لا تسع الجموع.

في هذا المقطع ينفي الشاعر أن تكون تضحية أطفال الحجارة بلا معنى، وأن تضحياتهم وبطولاتهم ستحقق لهم النصر الذي يراه الانهزاميون فناء، يعرض موقف كل فلسطيني حر يؤمن بالنصر، وينفي عنهم التخاذل، فكأنه بهذا يستحضر مواقف الجبن والاستسلام التي يرى في التضحية تهورا لا طائل من ورائه.

ويعرض موقفه المشرف لما يقف للدفاع عن الحرية والعدالة، يسخر الكلمة للنضال، محاولا إيقاف الظلم واجتثاث جذوره، مقاسما الشعوب مرارة الموقف، فهو يرى في الشعر وسيلة لإبداء كلمة الحق ووسيلة لتحريك الضمائر.

وفي لحظة استشهاد الفتى محمد الدرة يصور لنا صرخة أب مفزوع، يحاول حماية ابنه ويستنكر قتل فتى برئ وينعتهم بالجبناء والوحوش ليرد الفتى قائلا لن ينفعهم الاختباء وراء الأسلحة لأن في تضحية أبناء الحجارة حياة للفلسطينيين، إنها التضحية في سبيل الوطن فكل شيء يهون في سبيله، يدرج جملة من الأفعال الكلامية توجه الخطاب إلى الإثبات بدل النفي وتؤكد على حقيقة واحدة مفادها أن التضحية والمقاومة سلاح الضعفاء، يقول الشاعر [25]:

...

هم يطلقون النار نحوي

لا تخف إني معك

مهلا بني

إني أنزف من كل الجهات

يا وحوش

أوقفوا النار فإن الطفل مات

أوقفوا النار

أبي دعهم فلن يجدي رصاص الجبناء.

فالأفعال الموظفة هنا في جلها توجيهية بواسطة قوى إنجازية مختلفة بين النداء(يا وحوش، أبي)، والأمر(أوقفوا، دعهم، تمهل)، والنهي(لا تخف)، والنفي(لن يجدي)، والتأكيدات باستخدام إن (إني معك، إني أنزف، إن الطفل مات).

**- التعبيريات:**

عبر فيها الشاعر عزالدين ميهوبي، عن الموقف النفسي الذي انتابه وهو يرى إخوانه العرب يعانون البطش، بعد أن تكالب عليهم الأعداء وتنكر لهم الإخوة، نجده في خطابه يتحسر على ماضي لبنان بلد الأرز، ومواجعه

بعدما أنهك قواه الاقتتال الداخلي من جهة وخطر الصهاينة على الحدود من جهة أخرى، لكنه في خطابه يواسي لبنان ويدعو الشعب إلى دفع الأحقاد والتوحد لمواجهة اليهود، ونبذ التعصب، ونراه في الأخير متفائلا بعودة البلد إلى سابق عهده يقول[26]:

لبنان
إنا معك
لبنان يا وطن الهوى ما أروعك
إنا من الأوراس نأتي
كي نكفكف أدمعك
ما أروعك
لا تيأسن
فالفجر تصنعه المحن
ومن الجراح يبرعم الزهر الندي
ومن المواجع يطلع النغم الشدي
لا تيأسن
فالشمس تكبر رغم إعصار الزمن
إنا معك
إنا سنرقص دبكتك
ونغني مثلك_ ميجنا_
إنا هنا..
لبنان يا وطن الأرز
ويا عيونا دامعهْ
إنا هنا...
شمس لشعبك ساطعهْ
لا لست وحدك يا بلد
إنا هنا.
قلب ويد
لبنان عشت إلى الأبد.

فالأفعال الكلامية الموظفة على اختلاف قواها الإنجازية تعبر عن مواساة الشاعر وحزنه لما أصاب لبنان النداء ( لبنان، يا وطن الهوى، يا عيونا دامعة، يا وطن الأرز، يا بلد )، والتأكيدات (إنا معك، إنا سنرقص دبكتك، إنا هنا.. ) والنهي( لا تيأسن)، والنفي( لست وحدك)...

وأما استعمال ضمير المتكلم، فيعكس صدق الشاعر وتضامنه مع الشعب اللبناني، وتمنيه أن تتحسن أحواله ليعود إلى سابق عهده، وتشرق شمسه إلى الأبد.

ونراه في قصيدة أخرى يقلب مواجع القدس أرض المحبة والسلام، يتحسر على ضياعها بعدما تخاذل العرب عن نصرتها، وقدموها للصهاينة الذين عاثوا فيها فسادا، ودنسوا طهارتها، لقد صارت غريبة بين أهلها، فشاعرنا أحس بوجع ومرارة الألم، وراح يخاطب القدس قائلا[27]:

لك الحب يا قدس لا تجزعي
ومن كأس حزنك لا تترعي
وكوني كما شئت عاشقة
وشامخة إلهام لا تركعي
...
كأنك يا قدس قديسة
تقول لشمس الصباح اطلعي
فتأتي الشموس وفي نبضها
قناديل عاشقك الألمعي
وتكبر حيفا ويافا هنا
وتطلع غزة من أدمعي
فصوتك في خافقات العلا
وصوت العواصف لا تسمعي
...
بأقصى المحبة أعلي الندا..
وفي مهد عيسى أرى موسمي
فيا قدس صوغي المدى آية
فقلبي لغيرك لا ينتمي
ألست التي علمتنا الفدا..
فصرنا بأسوارها نحتمي
حمتك يد الله من إثمهم
وعن وعد شعبك لا ترجعي
فإن دم الشهداء غدا
كأوراس يكبر في أضلعي

فتراوحت الأفعال ما بين النهي (لا تجزعي، لا تترعي، لا تركعي، لا تسمعي، لا ينتمي، لا ترجعي)، والنداء (يا قدس)، الأمر (كوني، اطلعي، صوغي)، والدعاء ( حمتك يد الله)، وكذا الاستفهام الإنكاري (ألست التي علمتنا الفدا؟)،

**- الإلزاميات (أفعال التعهد) Promissifs:**

ومثل هذه الأفعال قد وردت في خطاب الشاعر في معرض وصفه لأحوال الدول العربية المضطهدة، ففلسطين تعاني ويلات جبروت اليهود، ولبنان قد أنهكته الفتن الداخلية من جهة وتكالب الصهاينة على جنوبه من جهة

أخرى، وسوريا وقد ضاعت منها الجولان، كل هذه المواجع استحضرها شاعرنا لا ليدخل اليأس والقنوط في نفوس المتلقي، بل ليؤكد أن الفجر يولد من المحن وأن النصر آت لا محالة، مهما طال الزمن، يقول[28]:

. . .

وقد نموت كأهل الكهف.. أو فمنا
يضيق من حشوة الصبار والعلف
لكنه العهد.. هذي الأرض تسمعني
والشام يشهد والآيات والصحف
وعد الأحبة في الجولان نقطعه..
فبالرجال سماء العشق تلتحف
النصر آت.. وإن شح المدى زمنا
فهللي.. إنها الأقدار ترتجف

فالشاعر يتعهد بمواصلة طريق الكفاح والمقاومة لتحقيق النصر، وتحرير كل شبر من أرض العرب المغتصب، وأن هذا المبتغى لا يمكن أن يحيد عنه كل عربي شريف يعتز بعروبته، ويتألم لمواجع آخيه.

ومثل هذه المواقف، ليست غريبة عن الجزائريين الذين لطالما دافعوا عن القضية الفلسطينية، واعتبروا ذلك واجبا لا يمكن الحياد عنه، واعتبروا أن جهادهم لا يعد منتهيا، مادامت فلسطين في قبضة الصهاينة.

نصل في الأخير إلى أن في الخطاب الشعري "**قرابين لميلاد الفجر**" للشاعر عزالدين ميهوبي أفعالا كلامية تهدف إلى التأثير، عرض فيها قضايا الوطن وهمومه، لكي يكون المتلقي مشاركا فعالا فيها، ولا يخفى على أحد أن الكلام عن القدس والانتفاضة والمقاومة أمور لا تحتاج إلى إيعاز لكنها تحشد الأصوات وتنمي الإحساس بالقضية، وما يمكن أن نخلص إليه هو أن:

- الحجاج فعل كلامي (شعري) يستمد خصوصياته وفعاليته ضمن حقل اللغة، ذلك أن نظرية الحجاج في اللغة سليلة لنظرية الأفعال الكلامية، وتنحصر دلالة الفعل الشعري في الأثر الناتج عن قوتها الإنجازية.

- التحليل الحجاجي لبعض الأفعال الكلامية في ( قرابين لميلاد الفجر) كشف عن جملة من الاقتضاءات نلمسها من خلال ما يتوالى في نفس المتلقي من استنتاجات وردود أفعال.

- ليضمن الشاعر نجاح وتحقق أفعاله الشعرية لجأ إلى استخدام الخطاب الجمعي المعبر عنه بـ" أنا" و"نحن" قصد تمتين اللحمة بينه وبين المتلقي، فيشعر بحقيقة الانتماء ويحس بآلام اخيه الفلسطيني ويزداد تعاطفا مع القضية الفلسطينية، وبالتالي يميل إلى نصرته والوقوف إلى جانبه.

- تفاوتت الأفعال الشعرية الموظفة من حيث فعاليتها الحجاجية إذ أن لجوء الشاعر إلى استخدام الأفعال الإخبارية الواصفة (التعبيريات) ليس لمجرد تقديم للواقع المزري الذي يعايشه الفلسطينيون وليس عرضا لمآسيهم فحسب وإنما لتأكيد حقيقة لا مفر منها ألا وهي الوقوف إلى جانبهم ونصرتهم، أما حين استخدامه للسلوكيات التي تعبر عن الحالات النفسية كالشكوى والمواسات والألم، فإنه لا يترك للمتلقي أي فرصة ليشكك في الأمر أو أن يتخاذل عن إبداء مواقفه.

- حين يستخدم الشاعر الأفعال غير المباشرة، يجعل المتلقي يندمج في عالم الخطاب فيسهل استدراجه إلى القيام باستلزامات تمكنه من الانتقال من الصريح إلى الضمني، فيتم توجيهه الوجهة التي يرتضيها الشاعر، فيسهل إقناعه.

فالشاعر قد تبنى توجها براغماتيا في تواصله مع المخاطب، بالتعبير عن قضايا الراهن العربي، وبالتالي كسب تأييده، الأمر الذي يوحي بإمكانية المقاربة التداولية الحجاجية للخطاب الشعري. فالشاعر في خطابه يؤدي فعلا شعريا تلفضيا، وما يعبر عنه هو الفعل الشعري الإنجازي، وما يرمي إلى تحقيقه من آثار هو الفعل التأثيري، والمواقف التي سيتبناها المتلقي، وردود أفعاله كموافقته أو اعتراضه هو الفعل الحجاجي.

**هوامش الدراسة ومراجعها:**

**1-** ينظر، عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م، ص 09.

**2-** العنوان الأصلي هو word with How to do things وهو عبارة عن اثنتي عشرة محاضرة، نشرت عام 1960م، وترجم إلى الفرنسية تحت عنوان Quand dire c'est faire، عام 1970م، وترجم أيضا إلى العربية بالقول هو الفعل، ينظر، جانسر فوني، الملفوظة، تر قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص 64.

**3-** ينظر، أزوالدديكرو، جون ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 692.

**4-** أوستين جون **لانكشو**1991، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2005م، ص 17.

**5-** ينظر، المصدر السابق، ص 121، 122، وينظر، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 260، وينظر أيضا:

- Jaques Moeshler et Anne Reboul (1994), Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique, Editions du seuil, Paris, p 62.
- J.L Austin (1970), Quand dire c'est faire, Traduction de Gilles Lane, éditions du seuil, paris, p 114.

**6-** Jaques Moeshler et Anne Reboul(1994), Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique. p 61.

**7-** ينظر، جان سرفوني، الملفوظية، المرجع السابق، ص 67.

**8-**Voir, Austin- Quand dire c'est faire, Op.cit., p 153-154 douzièmes conférences

وهذه الأفعال هي: (الوعديات)–Promissifs (أفعال التمرس)–exercitifs (الحكميات)–verdictifs (الاثباتيات /التبينيات) – expositifs (السلوكيات ) comporatifs

**9-** ينظر، آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 33.

**10-** أدرج سورل الفعل القضوي لتدارك الالتباس الحاصل بين الفعل الإحالي والفعل الإنجازي، ويرمز لكل محتوى قضوي للملفوظات الإنجازية بـf(p)، ويترجم إلى العربية بـ ق(ض) ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

– جون يدخن كثيرا، دَخِنْ كثيرا جون.

– هل يدخن جون كثيرا؟، كمْ إنَّ جون يدخن كثيرا!

إذ تحمل محتوى قضويا واحدا لكنها تختلف في قوتها الإنجازية.

**11-** Voir Jaques Moeshler et Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, 1994. Op.cit. p 64-65.

**12-** ينظر، آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، المصدر السابق، ص 34.

**13-** ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص 78–80.

**14-** Voir, O. Ducrot(2003) Dire et ne pas dire, Hermann éditeur ,3eme édition, paris, p77.

**15-** آمنة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد89، مارس، 2003م، ص 6.

**16-** مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص 40.

**17-** نفسه، الصفحة نفسها.

**18-** عزالدين ميهوبي، قرابين لميلاد الفجر(الديوان)، دار الأصالة سطيف، ط1،2003م، ص 59.

**19-** الديوان، ص 61.

**20-** فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب،1986، ص 61.

**21-** محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت، ص 399.

**22-** عزالدين ميهوبي، الديوان، ص 6.

**23-** صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، أغسطس، 1992م، ص 94.

**24-** الديوان، ص 8.

**25-** الديوان، ص 10.

**26-** الديوان، ص42–43.

**27-** الديوان، ص 23–25.

**28-** الديوان، ص 49.

**مراجع الدراسة:**

**المصادر والمراجع العربية:**

**المصادر:**

**1-** عزالدين ميهوبي، قرابين لميلاد الفجر(الديوان)، دار الأصالة سطيف، ط1، 2003م.

**المراجع:**

**2-** آمنة بلعلي، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد89، مارس، 2003م.

**3-** طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

**4-** عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، 2003م.

**5-** محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ماير، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت.

**6-** محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م.

**7-** مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.

**8-** صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، أغسطس، 1992م.

**المصادر والمراجع المترجمة:**

**1-** أزوالد ديكرو، جون ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

**2-** أوستين جون لانكشو، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام– تر عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 1991م.

**3-** جاك موشلار، آن روبول، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف الزيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

**4-** جان سرفوني، الملفوظة، تر قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.

**5-** فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.

**المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:**

**1-** Jaques Moeshler et Anne Reboul, Dictionnaire encyclopédique de Pragmatique, Editions du seuil, Paris, 1994.

**2-** J.L Austin, Quand dire c'est faire, Traduction de Gilles Lane, éditions du seuil, paris, 1970.

**3-** O. Ducrot, Dire et ne pas dire, Hermann éditeur ,3eme édition, paris, 2003.